عناصر المحاضرة : [تعريف الصعلوك لغة واصطلاحا – أصناف الصعاليك –أسباب ظاهرة الصعلكة – الظواهر الفنية في شعر الصعاليك – مضامين شعرهم]

تمهيد :

إذا كانت القبائل العربية تحكم أفرادها علاقات القربة والجيرة والأحلاف والعصبيات، فإن بعض أفراد القبائل قد شذَّ عن هذه القاعدة، واتخذ القطيعة مع قبيلته منهجا لحياته، لا يربطه بها وغيرها من القبائل الأخرى إلا ما يأخذه منها عنوة عن طريق السلب والإغارة، لأنهم لم يستطيعوا أن تكيفوا مع قوانين القبيلة ومقتضيات عيشهم، ولهذا تمردوا عليها، وهذه الطائفة الثائرة تعرف في التاريخ الأدبي باسم الصعاليك، فمن هم يا ترى؟ وما هي أصنافهم، وما هي أسباب اتخاذهم الصعلكة منهجا لهم، وما هي خصائص شعرهم الفنية والمضمونية ؟

تعريف الصعاليك :

في اللغة :

الصعاليك جمع صعلوك وهو الفقير، والتصعلك : الفقر، جاء في اللسان : « الصُّعْلُوك: الْفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ، زَادَ الأَزهري: وَلَا اعْتِمَادَ. وَقَدْ تَصَعْلَكَ الرجل إِذا كَانَ كَذَلِكَ؛ قَالَ حَاتِمُ طيِء:

غَنِينَا زَماناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنى،	فكُلّا سَقَانَاهُ، بكَأسَيْهما، الدهرُ
فَمَا زَادَنَا بَغْياً عَلَى ذِي قرابةٍ	غِنانا، وَلَا أَزْرَى بأَحْسابنا الفَقْرُ » [1]

و لعل معنى الصعلوك يرجع إلى قولهم ، تصعلكت الإبل إذا طرحت أوبارها، يقول يوسف خليف معلقا على ما جاء في المعاجم العربية : « الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها، ويعينه عليها، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة، ويواجهون مشكلاتها يدا واحدة، أو هو –بعبارة أخرى– الفقير الذي يواجه الحياة وحيدا،

[1] – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب ، ج10، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، ص455، 456. مادة[صعلك]

وقد جردته من وسائل العيش فيها، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها، فالمسألة إذن ليست فقرا فحسب، ولكنها فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد مسالكها أمامه » [1]

في الاصطلاح:

ويطلق لفظ الصعاليك – في عالم الأدب –على فئة من الفقراء اتخذوا لأنفسهم طريقة خاصة في حياته، وهي : مصطلح يصف ظاهرة فكرية نفسية اجتماعية أدبية لطائفة من شعراء العصر الجاهلي عكس سلوكهم وشعرهم نمطًا فكريًا واجتماعيًا مغايرًا لما كان سائدًا في العصر الجاهلي، ويطلق عليهم يوسف خليف تسمية(الدائرة الاجتماعية)، في مقابل(الدائرة اللغوية) السابقة الذكر، والتي تدل على معنى الفقر والحرمان، والضيق في العيش، وهذه الدائرة الاجتماعية، هي المتعلقة بالصعلوك في استعماله الأدبي / الاصطلاحي، بحيث « تدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه، وبالأسلوب، لذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع » [2]

إذن فوجه الجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي أنَّ الأصل اللغوي للصعلوك هو الفقير الذي لا مال له، والذي يحاول أن يتغلب على الفقر الذي يعيشه، لا بطلبه من أوجهه المشروعة، ذات الصبغة التعاونية، وإنما بالغزو والإغارة والسلب والنهب، حتى يتساوى اجتماعيا مع سائر أفراد مجتمعه.

أصناف الصعاليك:

ويمكن أن نميز فيهم ثلاث مجموعات :

- مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم وتجاوزاتهم، وفساد سلوكهم فيها، مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية وأبي الطمحان القيني.
- ومجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم، وممن « لم تكن القبائل تسوي بينهم وبين أبنائها الأصلاء، ممن ورثوا عروبة الأصل، ونقاء الدم في الآباء والأمهات » [3]، مثل السليك بن السلكة وتأبط شرا والشَّنْفَرى، وكانوا يسمون أغربة العرب.
- مجموعة ثالثة لم تكن من الخلعاء ولا أبناء الإماء الحبشيات؛ غير أنها احترفت الصعلكة احترافًا، لما يعيشونه من فقر وشظف في العيش، وشح في الموارد، وحينئذ قد تكون أفرادا مثل عروة بن الورد العبسي، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هُذَيل وفَهْم اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف على التوالي.

---

[1] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط03، 1978، ص 23.

[2] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 26، 27.

[3] – حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط04، 1997، ص55.

ملاحظة :

وهؤلاء الصعاليك يتفاوتون في النشاط والفاعلية في المجتمع فمنهم الخامل والعامل، فالأول هو « الفقير الحقير الذي ارتضى لنفسه التسول والتطفل والهوان على الناس » [1]، وقد صوره عروة بن الورد أنه يطوف في الليل على المجازر، ليلتقط العظم الهش، ليقتات عليه، وهو لدنو همته ليس له من الموائد إلا فتاتها، وليس من عمل إلا خدمة النساء، اللواتي يأمرنه بأعمالهن من كنس وحلب، وفي الليل يسقط كالبعير من شدة الإعياء، فيقول [2] :

لحَا اللَّهُ صُعْلُوكاً إذا جَنَّ لَيْلُهُ،	مُصَافِي المُشَاشِ آلفاً كُلَّ مَجْزَرِ
يَنَامُ عِشَاءً، ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِساً،	يَحُثُّ الحَصَا عن جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نِسَاءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ،	وَيُمْسِي طَلِيحاً كَالبَعِيرِ المُحَسَّرِ

وأمَّا العامل على عكس ذلك وهو الذي يجسده الصعلوك الحقيقي، من حيث قوته وفتكه وعلو همته، وترفعه عن المخازي، والذي قول فيه عروة أيضا [3] :

للهِ صُعلُوكٌ صَفِيحَةُ وجهِهِ	كَضَوْءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتنوِّرِ
مُطلاً عَلى أَعْدَائِهِ يَزجُرُونَهُ	بِسَاحتِهِمْ زَجْرَ المنيحِ المُشَهَّرِ
وإنْ بَعُدُوا لَا يَأمَنُونَ اقترابَهُ	تَشَوُّفَ أهلِ الْغَائِبِ المتنظِّرِ
فَذَلِكَ إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا	حَمِيداً وإنْ يسْتَغْنَ يَوْمًا فأجدرِ

أسباب ظاهرة الصعلكة:

هناك عوامل جغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية أدت إلى بروز ظاهرة الصعلكة في الصحراء العربية إبَّان العصر الجاهلي :

- فالعامل البيئي الذي أدى إلى بروز هذه الظاهرة يتمثل في قسوة الصحراء وشُحِّها بالغذاء إلى درجة الجوع الذي يهدد الإنسان بالموت، وإذا جاع الإنسان إلى هذه الدرجة، فليس من المستغرب أن يتصعلك ويثور ويقتل.

---

[1] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، دار الرشاد، حمص، سوريا، ط01، 1992، ص 222.

[2] – الديوان، دراسة وشرح وتعليق : أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص68.

[3] – المصدر نفسه، ص 69.

- والعامل السياسي يتمثل في وحدة القبيلة القائمة على العصبية ورابطة الدم، فللفرد على القبيلة أن تحميه وتهرع لنجدته حين يتعرض لاعتداء، ولها عليه في المقابل أن يصون شرفها ويلتزم بقوانينها وقيمها وأن لا يجر عليها جرائم منكرة، وفشل الفرد في الوفاء بهذه الالتزامات قد يؤدي إلى خلعه والتبرؤ منه، ومن هنا نجد طائفة من الصعاليك تُسمى الخلعاء والشذاذ.
- ومن الناحية الاجتماعية، نجد أن التركيبة القبلية تتشكل من ثلاث طبقات هي طبقة الأحرار الصرحاء، وطبقة المستجيرين الذين دخلوا في القبيلة من قبائل أخرى، ثم طبقة العبيد من أبناء الإماء الحبشيات، والطبقة الأخيرة لا تجد أمامها إلا طريقين : « الاحتماء بالولاء، أو اللجوء إلى الصحراء، وفي الولاء ما فيه من إذلال، لهذا كان الأعرابي يؤثر الصعلكة على تفيؤ ظلال الأثرياء الأقوياء »[1] والحقيقة أن مجموعة كبيرة من الصعاليك هم من أبناء هذه الطبقة المستلبة التي ثار الأقوياء من أفرادها لكرامتهم الشخصية مثل الشنفرى وتأبط شرًّا وعمرو بن برَّاقة والسليك بن السلكة وعامر بن الأخنس وغيرهم، وكان يُطلق عليهم أغربة العرب أو الغِربان تشبيهًا لهم بالغراب لسواد بشرتهم، فهو سعي حثيث من الصعلوك كي يسترد كرامته المستلبة ويعيد للسواد قيمته، وفي رفضه للضيم والخسف يقول الشنفرى [2] :

وَلَوْلَا اتِّقَاءَ الذُّلِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ	يُعاشُ بِهِ إلاَّ لدَيَّ وَمَأْكَلُ
وَلَكِنَّ نَفْساً حُرَّةً لا تُقيمُ بِي	عَلَى الضَّيْمِ إلاَّ رَيثما أتحوَّلُ

- أما العامل الاقتصادي، فيعزى إلى أنَّ حياة القبيلة في العصر الجاهلي كانت تقوم على النظام الإقطاعي الذي يستأثر فيه السادة بالثروة، في حين كان يعيش معظم أفراد الطبقات الأخرى مستخدَمين أو شبه مستخدمين، فظهر من بين الأحرار أنفسهم نفر رفضوا أن يستغل الإنسان أخاه الإنسان، وخرجوا على قبائلهم باختيارهم لينتصروا للضعفاء والمقهورين من الأقوياء المستغلين ومن أشهر هؤلاء عُروة بن الورد الملقب بأبي الصعاليك أو عروة الصعاليك.

وإذا أردنا أن نجمع هذه العوامل، فلعلَّ الفقر و والإحساس الظلم هما السببان البارزان وراء انطلاق أفراد بعينهم نحو حياة الصعلكة.

الظواهر الفنية في شعر الصعاليك :

1/ **قصر النَّفَسِ الشعري** :حيث إن المتأمل لشعرهم، يجد أنه شعر مقطوعات، ولسنا نعني بهذا انعدام القصيدة فيه، وإنما غلبة المقطوعات على القصائد، وإلا فلامية العرب أشهر شعر الصعاليك، هي قصيدة طويلة قاربت الستين

---

[1] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص 223.

[2] – عمرو بن مالك (الشنفرى)، الديوان وشرحه، جمعه وحققه وشرحه : إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1996، ص 63.

بيتا، وقافية تأبط شرا، ولعل سبب قصر شعر الصعاليك يرجع لطبيعة الحياة السريعة التي يعيشونها، فلم يكن لهم من التؤدة والروية ما لغيرهم من الشعراء المقيمن في كنف قبائلهم، هذا من جهة ومن جهة ثانية « لأن الصدور المحنقة التي نفثته، لم يكن همها الإطالة والإجادة، بل كان همها إفراغُ من يعروها من مشاعر في مقطعات، تصور التشرد والتوتر والتقلب » [1]، وربما يكون في شعرهم أبياتا مفردة أو نتفا أقصر من المقطوعات، ذهب أكثرها، ولم يعلق في ذاكرة الرواة إلا أشهرها وأسيرها.

2/ **الوحدة الموضوعية** : الذي يلفت الانتباه في شعر الصعاليك تلك الوحدة الموضوعية أو وحدة الغرض في مقطوعاته وأكثر قصائده، بحيث نلحظ رابطة واضحة تنتظمها، يربط أولها بآخرها، وإن كانت تحمل بين ثناياها معان مجزءة، لكنها في مجموعها تنضوي ضمن موضوع أو غرض عام، تشترك فيما بينها أنها تجسد حياة الصعلوك تشرُّدا وتمرُّدا وتفرُّدا، وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي القَبَلِي في مجموعه.

3/ **التخلص من المقدمات الطللية** : يظهر في شعر الصعاليك أنها خالية من الوقوف على الأطلال، فقد استعاضوا عنها بمذهب آخر وهو محاورة الحبيبة المحبة الحريصة على فارسها، التي تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها، في صورة تختلف عن صورة المرأة في الشعر القَبَلِي، التي يتعبد الشاعر في محراب حبه، ويفنى في عشقها، ويبكي أيامه معها، ويقف على أطلال ديارها، ويدعو أصحابه إلى الوقوف معه، ولعلَّ « الصعلوك في هذا المسلك الفني على حق، لأنه قطع صلته بالوطن، والطلل شكل من أشكال الوطن، والوقوف عليه حنين إليه، وكاره الشئ لا يحنُّ إليه » [2]، فالصعلوك إذن يمارس نوعا من أنواع الثورة أيضا على مفهوم الحب في التصور القبلي، ويستبدله بمفهوم آخر، يجعل من المرأة، هي من تحنُّ إلى الرجل، وترغب في استبقائه بجنبها، فكأن المرأة عند الصعاليك طالبة للحب، لا مطلوبة كما في شعر غيرهم.

4/ **السرد القصصي** : فشعر الصعاليك – في مجموعه –شعر قصصي يسرد فيه الشاعر كل ما مرَّ ويمرُّ في حياته من مغامرات حافلة بالحوادث المثيرة، لأن حياتهم قائمة على المغامرة والجرأة، فكل يوم يعيش على وقع تجربة جديدة، يتحدث فيها عن غزوه وأسره وفراره، وجوعه وشبعه، وحبه وكرهه، وتربصهم فوق المراقب في انتظار ضحاياهم، فشعرهم كأنه ملحمة خالدة تسطِّر حياتهم في تقلباتها وأفراحها وأحزانها.

5/ **الواقعية** : لقد تماهى الشعراء الصعاليك مع الحياة بكل تمظهراتها وتقلباتها، وجعلوها مادة لموضوعاتهم، فابتعدوا بذلك على التصوير والخيال، فقد وصفوا البيئة البدوية التي يعيشون فيها بكل صدق فني ونفسي، يرصدون « حقائقها ودقائقها، وفضائلها ورذائلها، ويسجل أحداثها، ويقيد الأحداث بأمكنتها وأزمنها حتى غدا شعرهم تأريخا لواقعهم المنافر للواقع الذي يكنفهم » [3]

---

[1] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص 231.

[2] – المرجع نفسه، ص 232.

[3] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص 233.

6/ **الارتجال والعفوية** : شعر الصعاليك صورة صادقة لحياتهم في فطريتها وعفويتها فلا تكلف ولا تمحُّل، ما إن يخوض الصعلوك تجربة أو يرى منظرا أو يتأثر بموقف إلا تدفق نهر الشعر الهادر عنده في « مقطعات سريعة الأداء، لا تتيح لصاحبها فسحة من وقت، يخلو فيها إلى فنّه يتقنه ويحسنه، أو إلى صورة يلونها ويحركها، أو إلى إيقاع يعرضه على سمعه ليضبط نغمه، ويصلح خلله وزلله، أو إلى لغته يتجود أنيق اللفظ وأنيسه، وينبذ وحشيه وغريبه » [1]

7/**كثرة الغريب في شعرهم** : بحيث يشعر الناظر فيه أنه أمام لغة مفارقة للمعجم العربي الجاهلي، فهو يشكل مجموعة من الطلاسم اللفظية، التي تضطر القارئ إلى الرجوع المتكرر إلى المعاجم المطولة، ويكفي أن نقرأ هذه الأبيات لتأبط شرا حتى نتعرف على مبلغ هذه الغرابة والوحشية في شعر الصعاليك [2]:

وَحَثْحَثْتُ مَشْعُوفَ النَّجَاءِ كَأَنَّنِي	هِجَفٌّ رَأَى قَصْرًا سَمَالًا وَدَاجِنَا
مِنَ الحُصِّ هَزْرُوفٌ كَأَنَّ عِفَاءَهُ	إِذا اسْتَدْرَجَ الفَيْفَاءَ مَدَّ المَغَابِنَا
أَزَجٌّ زَلُوجٌ هَذْرُفِيٌّ زَفَازِفٌ	هِزَفٌّ يَبُذُّ النَّاجِيَاتِ الصَّوَافِنَا

مضامين شعرهم:

1/ صحبة الحيوان : فلم يعد يحفل الشاعر الصعلوك بالعلاقات الاجتماعية، التي تحققها له القبيلة، بل توجه تمرده وثورته أن استبدل المجتمع البشري بآخر حيواني، وهذا ما قرره الشنفرى في قوله [3]:

أَقِيموا بني أُمِّي صدور مطِيِّكُم	فإنِّي إلى قَوْمٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

وفي أبيات لاحقة يفصل ماهية أصحابه بقوله [4] :

ولِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ	وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

فهؤلاء الحيوانات الذين اختارهم الشنفرى أهلا له؛ الذئب رمز التشرد والنمر رمز الافتراس والضبع رمز الاقتيات على جثث القتلى، « هم المعادل الموضوعي له في تشرده وميله للانتقام » [5]

---

[1] – المرجع السابق، ص232.

[2] – الديوان، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط01، 2003، ص73– 74.

[3] – عمرو بن مالك (الشنفرى)، الديوان وشرحه، مصدر سبق ذكره، ص58.

[4] – المصدر نفسه، ص59.

[5] – حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط01، 2001، ص 182.

ثم يعلل سبب ميله إلى مجتمع آخر مفارق للمجتمع البشري بقوله [1]:

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ	لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

2/ أحاديث المغامرات : فالمغامرات هي المتعة التي قامت عليها حياتهم، والأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم « والسلك الذي ينتظم حياة الصعاليك من أولها إلى آخره، فمن أخطارها صنعوا أعرافهم، ومن خروجها على المألوف، سنوا لأنفسهم سننا يتبعونها » [2] وهم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث الذي لا يستطيع العيش بمعزل عنها، ولهذا فهم يصفون كل ما يحدث في هذه المغامرات.

3/ شعر المراقب :مما يتميز به شعر الصعاليك أنهم أكثروا من وصف ما يسمونه " المراقب" وهي الأماكن التي تطلُّ من قمم الجبال ومرتفع الهضاب على شعاب الأودية وبطونها، والتي يتربص فوقها الشاعر الصعلوك بأعدائه، ويشترط فيها أن تكون محيطة مرهوبة، « وعناية الصعاليك بالمراقب أمرٌ متوقعٌ، لأنها حصونهم المنيعة، وقلاعهم المطلة على الدنيا، ومواطنهم بعدما قطعوا صلتهم بالأوطان » [3]

4/ **الحديث عن الرفاق** : لما قطع الصعاليك أواصر القربى، التي تربطهم بالقبائل، التي غادروها، نسجوا أواصر قربى جديدة، تقوم على الصداقة والأخوة في إطار حياتهم الجديدة؛ القائمة على التشرد في الفيافي، واجتماعهم على كره كل ما يمت بصلة للأغنياء والسادة « وبلغ إحساس بعضهم بهذا النسب الجديد غاية القوة والعمق، ودفعه إلى مصافاة من يعايش، والوفاء لمن يألف من رفقته » [4] ، وما أكثر ما نجد في شعرهم ألفاظ : الفتيان، والأصحاب، والصحب، والقوم، وأمثال هذه الألفاظ التي تدل على الجماعة.

5/ **أحاديث الفرار** : المتأمل في شعر الصعاليك يجد حديثهم عن الفرار والهروب بوصفه مفخرة، لا يجدون فيها غضاضة أو خجلا وإن كانت تعدُّ في عرف أخلاق العرب معيبة، لا تليق بالرجل الباسل الشجاع، ولو أردنا أن نقارب هذا الخلق بمعيار طبيعة عيش أولئك القوم، لقبلنا حججهم، « فهم ثائرون جوالون، لا حصون لهم ولا دروع، أرجلهم خيولهم، وجلودهم دروعهم، فكيف يحتمون بالفرسان الدارعين إذا ثبتوا؟ »[5]، والشئ الثاني أنهم يهربون من الناس الذين أهدروا دماءهم في السلم، فكيف لا يهربون منهم في الحرب، والشئ الثالث : أن هذا الأسلوب هو استراتيجية حربية، للصعاليك فيها قصب السبق، تسمى في الأعراف المعاصرة، حرب العصابات ((اضرب واهرب))، تدخل ضمن تمرد وثورة الصعاليك على المتداول القبلي، والفرار يقتضي شيئا آخر يعد من الصفات الواضحة لدى الصعاليك وهي سرعة العدو، هاته الصفة التي يفتخر بها الصعلوك، وقد علل يوسف خليف هاته الظاهرة عند

---

[1] – عمرو بن مالك (الشنفرى)، الديوان وشرحه، مصدر سبق ذكره، ص59.

[2] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص 225.

[3] – المرجع نفسه، ص 229.

[4] – المرجع، نفسه، ص230.

[5] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص 226.

الصعاليك بقوله : « ولا يكاد الشعراء الصعاليك يتحدثون عن شيء في مثل ذلك الإلحاح الذي نراه في حديثهم عن مغامراتهم كما يتحدثون عن سرعة عدوهم، ويبدو أن مرد هذا إلى أمرين: أولهما شعورهم بأنها ميزة تفردوا بها من بين إخوانهم في البشرية، وثانيهما إيمانهم بأنها من الأسباب الأساسية في نجاتهم من كثير من المآزق الحرجة. ومن هنا كان حديثهم عنها حديث المعجب بنفسه تارة، والمعجب بها تارة أخرى: المعجب بنفسه لأنه تفرد بها من سائر الناس، والمعجب بها لأنها كم أنقذته من أخطار أحدقت به »[1]

6/ **وصف الخيل والأسلحة** : يظهر في شعر الصعاليك – مع حديثهم عن سرعة عدوهم – وصفهم للخيل، حيث اشتهرت خيول بعينها عند اشهرهم، فقرمل فرس عروة بن الورد، والنحام فرس السليك، واليحموم فرس الشنفرى، فليست صورة الصعلوك ترتسم فقط في أنه ذلك الراجل في الصحراء الذي ليس له إلا سرعة عدوه وفراره، بل إن منهم فرسانا كماة، مدججين بالأسلحة، وحسبك في هذا ما رثى به تأبط شرا الشنفرى، بقوسه الصفراء المشدودة الوتر، وبسيفه الصقيل وبجواده الأشقر السريع، فالصعاليك كلهم شاكي السلاح فليس منهم أعزل، إلا أن منهم العداء والفارس، فقد كثر وصف أسلحتهم الهجومية ؛ كالسيف، والرمح، والقوس، والسهام، أو الدفاعية كالدرع، والترس، والمغفر.

07/ **تحمل الضرِّ والإيثار على النفس** : كثر في شعر الصعاليك حديثهم عن تحملهم لجميع أنواع المشاق من جوع وظمأ وغيرهما، ويفضلون ذلك على قبول الذل والرضى به، وفي هذا يقول الشنفرى [2] :

أُديمُ مِطالَ الجوعِ حَتَّى أُميتَهُ	وأَضْرِبُ عنه الذِّكرَ صَفحاً فَأَذْهَلُ
وأَسْتَفُّ تُربَ الأَرْضِ كَيْ لَا يُرَى لَهُ	عَلَيَّ مِنَ الفَضْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

بل والايثار بهما إن وجدا لمن هو بحاجة إليهما [3] :

إذا مُدَّت الأَيْدِي إلى الزَّادِ لم أكنْ	بِأَعْجَلِهم إذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إلاَّ بَسْطَةٌ من تَفَضُّلٍ	عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

ويقول عروة بن الورد في المقارنة بين المنفق المؤثر على نفسه وبين المقتر البخيل [4] :

وإني امْرُؤٌ عافِي إنائيَ شِرْكَةٌ	وأنتَ امرؤٌ عافِي إنَائِكَ واحِدُ

---

[1] – الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 215.

[2] – عمرو بن مالك (الشنفرى)، الديوان وشرحه، مصدر سبق ذكره، ص 62.

[3] – المصدر نفسه، ص 59، 60.

[4] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 61.

أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتُ وَقَدْ تَرَى	بِجِسْمِي مَسَّ الحَقِّ والحَقُّ جَاهِدُ
أَقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ	وَأَحْسُوا قُرَاحَ المَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ

وهناك مضامين أخرى لشعراء الصعاليك، تعبر عن رؤى شخصية، كالتي كان يتبناها عروة بن الورد مثلا كالبحث عن الغنى، وفي ذلك يقول عروة [1] :

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنَّنِي	رَأَيتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفقيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيهِمْ	وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وخَيْرُ
وَيُقْصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزْدَرِيهِ	حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَيُلْقَى ذُو الغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ	يَكَادُ فؤادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ، والذَّنْبُ جَمٌّ	وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

لأن الفقر لا يليق بالرجل الشهم الذي يرنو إلى الرئاسة والمجد، وفي هذا المعنى يقول أبياتا على لسان زوجته، تجسد رؤية الصعلوك للفقر [2] :

قَالَتْ تُمَاضِرُ إِذَ رَأَتْ مَالِي خَوَى	وَجَفَا الأَقَارِبُ، فَالفُؤَادُ قَرِيحُ
خَاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً	إِنَّ الجُلُوسَ مَعَ العِيَالِ قَبِيحُ
فَالمَالُ فِيهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ	وَالفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحُ

[1] – المصدر السابق، ص 79.

[2] – المصدر نفسه، ص 54.